أيــوب عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[الأنبياء: ٨٣، ٨٤]

صدق الله العظيم

فى قصة أيوب عليه السلام أكثر من مغزى. . فهذا الرجل الذى رضى بقضاء الله وقدره. وصبر على ما أصابه لم يكن يدرى أن الله سيجزيه خيرا كثيرا على صبره. كما ترى فى قصة أيوب عليه السلام أكثر من معجزة. . والمعجزة لا تعلل . . بمعنى أننا يجب ألا ننكر المعجزة، ونقول أنه من غير المعقول مثلا أن يرد له أولاده الذين ماتوا، ويعيد إليه صحته بعد هذا المرض الطويل الذى استمر حوالى سبع سنوات . . وذلك لسبب بسيط جداً وهو أن هذه المعجزة ليست من عند أيوب، ولكن من عند الله سبحانه وتعالى، وهو يقول للشىء كن فيكون.

إن نبى الله أيوب من نسل إبراهيم عليه السلام، وزوجته «السيدة رحمة» من نسل يوسف عليه السلام، وقد رزقه الله الصحة والعافية، وكان ثريا ويملك إبلاً وأغناماً كثيرة، ورزقه الله سبعاً من الأولاد. . وكان شاكراً لنعم الله.

وابتدأ البلاء. . فإذا بمواشيه تنفق، وإذا بثروته تتبدد. . ولم يكن يتردد على لسانه سوى الشكر لله العزيز الرحيم ويقول: « الحمد لله على ما أنعم وسلب هو مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شىء قدير»

وتتوالى الكوارث فيسقط البيت على أولاده السبعة ويأتيهم الموت.. ويأتيه النبأ الفاجع فيبكى أولاده ولسانه يردد: « إنا لله وإنا إليه راجعون».

وبعد ذلك ابتلى هو نفسه بالمرض.. أصبح طريح الفراش سبع سنوات كاملة.. وكانت زوجته رحمة دائبة العناية به.. صابرة معه على ما أصابه من ضرر.. راضية بقضاء الله وقدره.. ظلت معه فى محنته صابرة راضية..لقد ضاعت ثروة زوجها فصبرت، مات أولادها ورضيت بقضاء الله..وظلت مع زوجها المريض الفقير تسهر على راحته، وتعمل لتوفر له الطعام والشراب.. بنفس راضية قانعة..

وذات مرة ذهبت إلى السوق لبعض شئونها وتأخرت قليلا وأقسم «أيوب» أن يضربها لو كتب الله له الشفاء مائة ضربة، ثم طردها من منزله!

ومرت الأيام وأيوب يتجه بكل قلبه إلى الله أن يفرج همه..

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء : ٨٣ ، ٨٤].

لقد توجه إلى الله بكل كيانه أن يعيد إليه الصحة ويرضى عليه، وتداركته رحمة الله سبحانه وتعالى وأوحى إليه سبحانه:

﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ص: ٤٢].

وضرب أيوب الأرض فتفجر منها الماء فشرب منه واغتسل وعادت إليه صحته وعافيته.

وفكرت «رحمة» فى أمر زوجها.. وقررت أن تذهب إليه، لتعيش معه بعد أن، تستعطفه، وما كادت تدخل الدار حتى وجدته فى تمام الصحة والعافية، فسجدت لله شكرا ثم سألت زوجها وهو مازال مصرا على ضربها المائة ؟!

ووقف أيوب حائرا بين محاولته أن يبر بقسمه، وبين حبه وعطفه على تلك الزوجة الحانية التى وقفت بجانبه فى أشد لحظات حياته بؤسا وألما.. ولكن رحمة الله فوق كل رحمة.. إن رحمة الله لا تعادلها رحمة فى الوجود كله.. لقد سمع نداء ربه:

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص: ٤٤].

وبر أيوب بوعده حسب ترخيص ربه له بأن يضرب زوجته بمائة قشة مرة واحدة.

لقد شعرت رحمة بأن الله سبحانه وتعالى أسبغ عليهم رحمته وكرمه.. وأنه سوف يستجيب لدعاء هذا النبى الصابر.. فطلبت منه أن يدعو الله أن يرد لهما أبناؤهما.. وجاء الأمر الإلهى:

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص : ٤٤].

وسجدا لله شكرا، وما كادوا يرفعون رءوسهم حتى دخل عليهم أولادهم. . وارتفعت صيحات التكبير لله على فضله وكرمه.

لقد صبر أيوب على قضاء الله. . لم يتبرم. . ولم يذكر لسانه إلا الله فأظله الله برحمته، وأنعم عليه. وأعاد إليه الثراء والصحة والولد. .

وسبحان الله القادر على كل شيء. . والذى يقول للشيء كن فيكون.

* * *